بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ وَالْعَقِيدَةِ .. إِنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَشْهَدْ رِجَالاً اشْتَدَّ بِاللهِ عَزْمُهُمْ، وَصَدَقَتْ للهِ نَوايَاهُمْ، فِي غَايَاتٍ شَرِيفَةٍ مِنَ الإِيمَانِ وَالإِصْلاحِ، نَذَرُوا لَهَا حَيَاتَهُمْ، صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيهِ فِي جَسَارَةٍ وَتَضْحِيَةٍ. إِنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَشْهَدْ ذَلكَ كَمَا شَهِدَهُ مِنْ صَحْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ورَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ أَجْمَعِينَ- فِي حُبِّهِمْ وَتَضْحِيَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ وَزُهْدِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ للهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. وَالْيَوْمَ نَحْنُ مَعَ رَجُلٍ عَظِيمٍ، جَلِيلِ الْقَدْرِ، رَفِيعِ الْمَنْزِلَةِ، اسْمُهُ عَبْدُاللهِ، وَحَقًّا.. فَقَدْ كَانَ عَبْدًا للهِ، عَبَدَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ، وَجَاهَدَ فِيه حَقَّ جِهَادِهِ، أَنْفَقَ فِي سَبِيلِهِ مَالَهُ كُلَّهُ، وَنَافَحَ عَنْ دِينِهِ، وَنَصَرَ رَسُولَهُ وَصدَّقَهُ وَآمَنَ بِهِ وَأَحَبَّهُ حُبًّا لَوْ قُسِّمَ عَلَى الأُمَّةِ لَدَخَلُوا الْجَنَّةَ بِهِ.

إِنَّهَا سِيرَةُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُثْمانِ بْنِ عَامِرٍ. أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ الْأَوَّلُ، وَالْمُؤْمِنُ بِرَسُولِ اللهِ مِنَ الرِّجَالِ الْأَوَّلُ، وَالْمُبَشَّرُ بِالْجَنَّةِ الْأَوَّلُ رضي الله عنه.

سَبَقَ إِلَى الإِيمَانِ، وَبَادَرَ إِلَى الرُّفقَةِ، وَلاَزَمَ الصُّحْبَةَ وَاخْتُصَّ بِالْمُرَافَقَةِ فِي الْغَارِ وَالْهِجرةِ ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

إنه أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ.. حَبِيبُ النَّبِيِّ ﷺ وَرَفِيقُهُ، قَالَ عَنْهُ ﷺ (لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي) وَقَدْ قَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ رضي اللهُ عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ (أَبُو بَكْرٍ).

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ .. صَحِبَ الرَّسُولَ ﷺ سَنَةً قَبْلَ الْبِعْثَةِ، وَسَبَقَ إِلَى الْإِسْلامِ، وَاسْتَمَرَّ مَعَهُ طِيلَةَ إِقامَتِهِ فِي مَكَّةَ وَفِي الْهِجْرَةِ وَالْغَارِ،

وَشَهِدَ مَعَهُ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا إِلَى أَنْ تُوفِّيَ ﷺ، وَكَانَتِ الرَّايَةُ مَعه يَوْمَ تَبُوكَ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ فِي حَيَاةِ النبيّ ﷺ، وَاسْتَمَرَّ خَلِيفَةَ الْأَرْضِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ، وَلُقِّبَ رضي الله عنه بِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

كَانَ رضي الله عنه أَبْيَضَ، نَحِيفًا، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ لاَ يَسْتَمْسِكُ إِزَارُهُ عَلَى حِقْوَيْهِ؛ لِشِدَّةِ نَحَافَتِهِ، قَلِيلَ لَحْمِ الْوَجْهِ، غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئَ الْجَبْهَةِ.

إِنَّهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ..إِذَا أَرَدْنَا أَن نَذْكُرَ خُلُقَهُ وَعِبَادَتَهُ، فَقَدْ جَمَعَ الْفَضَائِلَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْه؛ كَانَ صَدِّيقًا أَوَّاهً، شَدِيدَ الْحَيَاءِ، كَثِيرَ الْوَرَعِ، حازِمًا، رَحِيمًا، كَرِيمًا، شَرِيفًا، غَنِيًّا بِمَالِهِ وِجَاهِهِ وَأَخْلاقِهِ، لَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ قَطُّ؛ لِأَنَّهُ سَلِيمُ الْفِطْرَةِ، سَلِيمُ الْعَقْلِ. وَلَمْ يَعْبُدْ صَنَمًا قَطُّ، بَلْ يُكْثِرُ التَّبَرُّؤُ مِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثَرْ عَنْهُ الْكَذِبُ قَطُّ.

إنَّه أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ..يَكْفِي مِنْ فَضَائِلِهِ أنَّ الذِي مَدَحَهُ هُو رَسولُ اللهِ ﷺ، فقَد قَالَ عَنهُ ﷺ (إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ) وقال ﷺ (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ) وقال ﷺ (مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ).

إنَّه أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ..صَاحِبُ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ الَّتِي لَمْ يَلْحَقْ بِهِ أَحَدٌ؛ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بِأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا،

قَالَ (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

إنَّه أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ..قَارِئُ القُرآنِ وجَامِعُهُ، رَقيقُ القَلْبِ عِندَ تِلاوتِهِ، لا يَملِكُ دُموعَهُ إذَا قَرأَهُ، كَانَ رَجُلاً أَسِيفًا سَرِيعَ البُكاءِ، إذَا صَلَّى بالناسِ لَمْ يَسمَعُوا قِرَاءَتَهُ مِنَ البُكَاءِ.. كمَا وَصَفَتْهُ ابْنَتُهُ عَائشةُ رَضي اللهُ عَنهَا.

إنَّه أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ..صَاحِبُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا جَمِيعًا. لَقدْ حُقَّ لِعُمَرَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنْ يَقُولا: مَا اسْتَبَقْنَا إِلَى خَيْرٍ قَطُّ، إِلَّا سَبَقَنَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ. صَدَقةٌ وجِهادٌ.. صَلاةٌ وصِيامٌ..

إنَّه أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ..صَاحِبُ الْحُبِّ الشَّدِيدِ وَالْفِدَاءِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

إنَّه أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ..صَاحِبُ الصَّدقَةِ والكَرمِ والإِنفَاقِ؛ فلَقَدْ أَنفقَ مَالَهُ كُلَّهُ طَواعيةً للهِ ولرسُولِهِ ﷺ.

هَكَذَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فِي حَيَاتِهِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ يَوْمَ الاثنَيْنِ لَيْلَةَ الثُّلاَثَاءِ، لِثَمانٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُوْلَى سَنَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَصَلَّى عَلَيهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْمَسْجِدِ، وَدُفِنَ لَيْلاً فِي بَيْتِ عَائِشَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَرَضِيَ اللهُ عَنِ الصِّدِّيقِ وَأَرْضَاهُ، وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَقْتَفُونَ أَثَرَهُ وَيَسِيرُونَ عَلَى نَهْجِهِ، وَجَمَعَنَا بِهِ فِي جَنَّتِهِ مَعَ الْحَبيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ...

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، جَلَّ شَأْنُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم ..أَمَّا بَعْدُ:

فهَذِهِ هِيَ حَياةُ الصِّديقِ وتِلكَ لَمَحاتٌ مِن حَياتِهِ، كانَ مِثالاً وقُدوَةً في الصِّدقِ معَ اللهِ ورَسولِهِ، مِثالاً رَائِعاً انقَطَعَ نَظِيرُهُ في مَحبَّةِ النّبيّ ﷺ، قُدوةً صَالِحةً نَافِعةً في العِبَادَةِ والتَّقوَى.. إنَّهُ المحِبُّ الصَّادِقُ، والمطِيعُ العَابِدُ.. هُوَ الْمُحِبُّ لرَبِّهِ الْمُتَّبِعُ لِنَبِيِّهِ، تَجِدُهُ صَادِقًا في مَحبَّتِهِ، فَلا حَلالَ عِندَه إلاَّ مَا أَحلَّهُ اللهُ ورسولُهُ، ولا حَرامَ إلاَّ ما حَرَّمَهُ اللهُ ورسولُهُ، ولا مَحبوبَ لَديهِ إلاَّ مَن أَحبَّهُ اللهُ ورسولُهُ، ولا مَكروهَ إلاَّ مَنْ كَرِهَهُ اللهُ ورسولُهُ..

وَلَقَدْ اِجْتَمَعَتْ تِلْكَ اَلصِّفَاتِ كُلِّهَا وَبَرَزَتْ فِي أَجْلَى صُوَرِهَا وَأَبْهَى مُمَارَسَتِهَا حِينَمَا تَوَلَّى اَلْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ، فَلَقَدْ كَانَ خَيْرُ خَلِيفَةٍ فِي عِفَّةٍ وَصِدْقٍ وَدَعَةٍ وَحَزْمٍ وَأَنَاةٍ وَكِيسٍ وَيَقَظَةٍ وَمُتَابَعَةٍ، اَلضَّعِيفِ عِنْدَهُ قَوِيٌّ حَتَّى يَأْخُذَ اَلْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيِّ عِنْدَهُ

ضَعِيفٌ حَتَّى يَأْخُذَ اَلْحَقَّ مِنْهُ، فَهُوَ اَلْخَلِيقَةُ اَلشَّفِيقُ وَهُوَ اَلرَّاعِي اَلرَّفِيقُ ، وَصِيُّ اَلْيَتَامَى وَخَازِنُ اَلْمَسَاكِينُ، كَالْقَلْبِ بَيْنَ اَلْجَوَانِحِ تَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ كُلَّ اَلْجَوَارِحِ.

عِبَادُ اللهِ ... إِنَّ الْأُمَّةَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْإِقْتَدَاءِ وَالتَّأَسِّي بِهَؤُلَاءِ الرِّجَالَ وَبَتَارِيخِهِمْ المشَرَّفِ، الَّذِي أَقَامُوهُ بِهُدَى اللهِ وَمِنْ جُهْدِهِمْ وَبَذْلِهُمْ، دُرُوسٌ عِظَامٌ نَأْخُذُهَا مِنْ بَعْضِ سِيرَةِ هَذَا الرَّجُلُ الْعَظِيمِ وَالصَّحَابِيُّ الْكَرِيمِ.

نَسْأَلُ اللهَ تعَالى أَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا فِيهِ مَرْضَاتُهُ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ والسَّيْرِ علَى هَدْيِهِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.